

بسم الله الرحمن الرحيم

## التأويل في الاسلام

بقلم : ابراهيم بن حسن

جاء في كتاب «التعريفات» لأبي الحسن الجرجاني قوله : ( التأويل في الأصل : الترجيح وفي الشرع : صرف اللفظ ، عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله ؛ اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة . مثل قوله تعالى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ » إن أراد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، وإن أراد اخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً )<sup>(1)</sup> .

وقد أراد الجرجاني بقوله : ( التأويل في الأصل : الترجيح ) بيان معناه لغة وذلك لأن التأويل مصدر أوله ؛ اذا أرجعه الى الغاية المقصودة . والغاية المقصودة من اللفظ هي معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني فساوى التفسير على أنه لا يطلق الا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول .

وقد جاء في كتاب « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني ما يلي :

والتأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية قال صاحب القاموس : ( أول الكلام تأويلاً وتأوله ؛ دبّره وقدره وفسره ) ومنه قوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله » . وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل ومعناه في جميعها : البيان والكشف والايضاح<sup>(2)</sup> .

وبعد بيان معنى ( التأويل ) لغة انتقل الى بيان معناه في اصطلاح المفسرين فقال : « أما التأويل في اصطلاح المفسرين ، فانه يختلف معناه ، فبعضهم يرى أنه مرادف للتفسير وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي ، ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين ومنه قول مجاهد : ( ان العلماء يعلمون تأويله ) - يعني القرآن - وقول ابن جرير في تفسيره : ( القول في تأويل قوله تعالى كذا .... واختلف أهل التأويل في هذه الآية .... ) وبعضهم يرى ان التفسير يخالف

(1) كتاب «التعريفات» للجرجاني ص 28 .

(2) مناهل العرفان للزرقاني ج 4 ص 72 دار احياء الكتب العربية ط 3 سنة 1372 هـ

التأويل بالعموم والخصوص فقط ويجعل التفسير أعم مطلقاً . وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقاً ، أعم من ان يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر . وبعضهم يرى ان التفسير مباين للتأويل ، فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون قطع ، وهذا قول الماتريدي <sup>(3)</sup> .

وقد نبه العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره : تحت عنوان : « الفائدة الأولى » : الى اختلاف الآراء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل فقال : ( واختلف في الفرق بين التفسير والتأويل فقال أبو عبيدة : هما بمعنى - أي مدلولهما واحد - وقال الراغب : التفسير أعم : وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها في الكتب الالهية وغيرها والتأويل في المعاني والجمال في الكتب الالهية خاصة ؛ وقال الماتريدي : التفسير : القطع بأن مراد الله تعالى كذا ، والتأويل الترجيح أحد الاحتمالات بدون قطع . وقيل التفسير ما يتعلق بالرواية - أي التفسير بالمأثور - والتأويل ما يتعلق بالدراية - أي التفسير بالرأي - وقيل غير ذلك ؛ وعندي أنه ان كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف : فكل الاقوال فيه . ما سمعتها . وما لم تسمعها مخالفة للعرف اليوم ، ان قد تعارف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية ، ومعارف سبحانه تنكشف من سُجْفِ العبارات للسالكين ، وتنهل من سُحْبِ الغيب على قلوب العارفين ؛ والتفسير غير ذلك <sup>(4)</sup> . ويؤخذ من هذا القول أن التأويل في عصر الألوسي خاص بالتفسير الاشاري للصوفية . وما عاداه من الطرق الأخرى سواء كانت عن طريق الرواية أو الدراية فهو من قبيل التفسير لا التأويل .

وقد علق الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان » عند عرضه لمعاني التأويل في اصطلاح المفسرين . فبين معنى التأويل في اصطلاح علماء الكلام ومن جاراها في اتجاههم الفلسفي فقال : ( وانما قلنا في اصطلاح المفسرين ليخرج اصطلاح المتكلمين ومن جاراها فانهم يريدون من التأويل ما ذهب اليه الخلف من صرف نصوص ما تشابه من الكتاب والسنة عن ظاهره الى معان تتفق وتنزيه الله تعالى عن المشابهة والمماثلة ، بخلاف ما ذهب اليه السلف من التفويض والامسك عن تعيين معنى خاص ) <sup>(5)</sup> .

من هذه النقول التي اشتملت على بيان معنى « التأويل » لغة وفي اصطلاح المفسرين والمتكلمين ومن جاراها يتبين أن للتأويل في الاسلام ابعاداً جدّ واسعة سواء من حيث الزمن أو من حيث ما تولد عنه من مدارس ومذاهب ومن فرق ونحل .

(3) نفس المرجع للزرقاني ج 4 ص 473 من دار احياء الكتب العربية ط 3 سنة 1372 هـ .

(4) تفسير « روح المعاني » للألوسي مج (2-1) ج 4 ص 4 - 5 طبع دار احياء التراث العربي -

بيروت

(5) كتاب « مناهل العرفان » ج 4 ص 473 .

فأبعاده من حيث الزمن تبتدي من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، الى نهاية الحياة الدنيا ما دام القرآن الكريم ، وما دامت السنة النبوية ، وما دام الفكر الاسلامي : فالتأويل بمعنى التفسير والبيان هو موضوع السنة النبوية ودورها الأساسي ازاء القرآن الكريم قال الله تعالى - مخاطبا نبيه الاكرم : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (6) وقال عليه الصلاة والسلام - مبينا مدد السنة وعطاءها - : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » (7) قال العلامة الألوسي في تفسيره « روح المعاني » أثناء تفسيره لقوله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » : ( وعن مجاهد أن المراد بهذا التبيين : تفسير المجمل ، وشرح ما أشكل ، اذ هما المحتاجان للتبيين ، واما النص والظاهر فلا يحتاجان اليه ؛ وقيل المراد به : ايقافهم على حسب استعداداتهم المتفاوتة على ما خفي عليهم من اسرار القرآن وعلومه التي لا تكاد تحصى ، ولا يختص ذلك بتبيين الحرام والحلال ، وأحوال القرون الخالية ، والامم الماضية ، واستأنس له ( أي صاحب هذا الرأي استأنس لرأيه ومال اليه ) بما أخرجه الحاكم وصححه عن حذيفة قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما أخبرنا فيه بما يكون الى يوم القيامة عقله منا من عقله ، ونسيه من نسيه » .

وهذا في معنى ما ذكره غير واحد أن التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه ؛ ويدخل فيه القياس وإشارة النص ودلالته ، وما يستنبط منه من العقائد . والحقائق والاسرار الالهية (8) .

فقوله : ان التبيين أعم من التصريح بالمقصود ، ومن الارشاد الى ما يدل عليه الى آخر ما قال ؛ هو التأويل على ما ذهب اليه بعضهم من أنه بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ؛ كما تقدم .

وعلى ضوء هذا فبيان القرآن وتأويله كان يقوم به الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان الصحابة يأخذون ذلك عنه ، وعنهم اخذ التابعون ، وعن التابعين اخذ علماء المسلمين جيلا بعد جيل ، وهكذا الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، ما دام في المسلمين علماء . وما دام في العلماء من يتدبر القرآن . ويتأول معانيه للوصول الى أبعاده التي لا تنتهي ، وذلك لأن اسرار القرآن وعلومه لا تكاد تحصى ، وعطاءه لا ينقطع قال الامام أحمد : ( ان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وانزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه ، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه ، وخاصه وعامه ، وناسخه ومنسوخه ؛ وما قصد له

(6) سورة النحل آية 44 .

(7) رواه ابو داود عن المقدم بن معد يكرب عن رسول الله (ص) - كتاب السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي

(8) تفسير « روح المعاني » ج (13-14) ج 14 ص 150 .

الكتاب ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله ، الدال على معانيه . شاهده في ذلك اصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه ، واصطفاهم له ، ونقلوا ذلك عنه ، فكانوا هم أعلم الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم ، وما قصد له الكتاب فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال جابر : ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به (9) .

فمن هذا القول للامام أحمد نستنتج أموراً ثلاثة :

**الأمر الأول :** هو ان التأويل بُدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤخذ هذا من قوله : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله ، الدال على معانيه .

**الأمر الثاني :** هو ان صحابة رسول الله اخذوا عنه التأويل وبلغوه الى من بعدهم من العلماء ، ويؤخذ هذا من قوله : شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه واصطفاهم له ، ونقلوا ذلك عنه .... فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**الأمر الثالث :** هو ان التأويل المأخوذ عن رسول الله ، قد يكون من نوع البيان والتفسير ، وقد يكون من نوع المعنى الأصولي ، وهو صرف اللفظ عن ظاهر معناه الى معنى آخر مُحتمل لدليل ، وهذا يؤخذ من قول جابر : « ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به .... »

ولما تقدم لا أجد حرجاً عندما قلت : أبعاد التأويل من حيث الزمن تبتدىء من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام الى نهاية الحياة الدنيا ما دام القرآن الكريم وما دامت السنة النبوية ؛ وما دام الفكر الاسلامي المعطاء الذي يعمل اعلامه الراسخون في العلم على تدبر أي القرآن . وعلى تأويل واستخراج أبعاد معانيه ؛ إلا ان التأويل منه المحبوب والمندوب اليه ، وهو المنطلق من الحق للوصول الى الحقيقة واليقين وهذا ما يستنتج من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس حيث دعا له فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » (10) ومنه المكروه وقد يصل الى مستوى المحرم وهو المنطلق من الباطل لزرع الشكوك والاهام استجابة لهوى النفوس ، ولزيع القلوب . وهذا ما حذر منه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : حدث أبو حازم عن أبيه ان عمر بن الخطاب قال : « ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاء إيمانه ، ولا من فاسق بين فسقه »

(9) اعلام الموقعين : لابن الجوزية ج 2 ص 290 دار الجيل ، بيروت - سنة 1973

(11) كتاب «التاج» مج 3 ص 360 تعليق عدد 6

ولكنني أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى أزلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله «<sup>(11)</sup> .

هذا بُعد التأويل من حيث الزمن ، وأما بعده من حيث ما تولد عنه من مدارس ومذاهب ، ومن فرق ونحل ، فأول مدرسة انطلق منها التأويل في الاسلام هي مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد شملت هذه المدرسة بيانها وتفسيرها وتأويلها جميع نواحي الانسان في هذا الوجود المادي المشاهد ، وفيما ينتظره من الوجود الآتي غير المشاهد ؛ وهذا ما يدل عليه قوله تعالى - مخاطبا نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام - : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ... »<sup>(12)</sup> ، وقوله : « قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا »<sup>(13)</sup> وقوله : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »<sup>(14)</sup> وقوله : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »<sup>(15)</sup> .

وقد كان بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتفسيره وتأويله لصاحبه ولغيرهم من كافة الناس بواسطة أقواله وأفعاله وتقريراته التي هي محاور سنته ومنابع بيانه وتأويله لما أراده الله لعباده من عقيدة وعبادة . ومن تشريع وهداية للانسان ليدرك حقيقة نفسه ، وحقيقة الكون والحياة ، وليعلم العلاقة التي ينبغي أن تكون بينه وبين الله ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين الكون والحياة ، وبينه وبين الناس .

وقد كان بيانه وتفسيره وتأويله أساسا ومنطلقا لكل المدارس والمذاهب ، ولكل الفرق والنحل التي تربط وجودها وانطلاق تفكيرها ، وابعاد اشعاعها بالاسلام في مبادئ وأهدافه سواء منها التفسيرية ، والفقهية ، والأصولية ، والكلامية ، والفلسفية ، أو غيرها من بقية مدارس العلم ، ومذاهب المعرفة . فالمدرسة الأولى التي انبثقت عن مدرسة الرسول الاكرم . واخذ أصحابها مباشرة عنه كيفية البيان والتأويل هي مدرسة الصحابة فقد أخذوا منه وعنه كيفية البيان والتأويل ، من أقواله وأفعاله وتقريراته ؛ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي - يتأول القرآن - » أي يعمل بقوله تعالى : « فسبح بحمد ربك واستغفره » فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد ، وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة فقول عائشة « يتأول القرآن » صريح في انه عليه الصلاة والسلام فسر الآية بالظاهر ، منها ، ولم يحملها على ما تشير اليه من انتهاء مدة

(11) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج 2 ص 238 .

(12) سورة سبأ آية 28

(13) سورة الاعراف آية 158

(14) سورة سبأ آية 44

(15) سورة النحل آية 67

الرسالة وقرب انتقاله صلى الله عليه وسلم الذي فهمه منها عمر وابن عباس - رضي الله عنهما - وعلى فهمهما هذا تأولا الآية كما يأتي بيانه بعد حين ، وعن ابن سعيد الخُدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما أنا نائم رأيت الناس يُعرضون عليّ وعليهم قمصٌ منها ما يبلغ التَّدِي ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه ، قالوا : فما أولّت ذلك يا رسول الله ؟ قال : الدين » (16) .

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما أنا نائم أُوتيت بقدّم لبّن فشربت حتى إني لأرى الرّي يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا : فما أولّته يا رسول الله ؟ قال : العلم » (17) وعن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : « غير المغضوب عليهم » قال : ( هم اليهود ) « ولا الضالين » قال : ( النصارى هم الضالون ) (18) .

وأخرج الامام أحمد عن عبد الله قال : ( لما نزلت هذه الآية « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » شق ذلك على الناس وقالوا : يا رسول الله فأئنا لا يظلم نفسه ؟ قال : انه ليس الذي تعنون ؟ ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : « يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » انما هو الشرك ) (19) .

وعن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية « والذين يكنزون الذهب والفضة ... الآية » كَبُرَ ذلك على المسلمين وقالوا : ما يستطيع أحد منا ان يترك لولده مالا يبقى بعده ! فقال عمر : أنا أفرّج عنكم فأنطلق عمر وأتبعه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبيّ الله إنه قد كَبُرَ على أصحابك هذه الآية فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وانما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم ؛ قال : فَكَبُرَ عمر ... » (20) .

وأخرج البزار والطبراني في « الأوسط » ، والبيهقي في « الاسماء والصفات » عن عبد الله ابن عمرو قال : جاء فئام الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد ، وقال عمر : الحسنات والسيئات من الله ، فتابع هذا قوم ، وهذا قوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأقْضِيَن بينكما بقضاء اسرافيل بين جبرائيل وميكائيل ، إن ميكائيل قال بقول أبي بكر ، وقال جبرائيل بقول عمر ، فقال جبريل لميكائيل إنا متى نختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض

(16) فتح الباري ج 1 ص 73

(17) فتح الباري ج 1 ص 180

(18) تفسير ابن كثير ج 1 ص 46

(19) مسند الامام احمد

(20) تفسير ابن كثير ج 4 ص 82

فلنتحاكم الى اسرافيل فتحاكما اليه فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره ،  
حلوه ومره ، كله من الله ، ثم قال : يا أبا بكر ان الله لو أراد أن لا يُعصى لم  
يخلق ابليس ؛ فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله .

فهذا الأثر الذي اشتمل على تأويل رسول الله صلى الله عليه وسلم المستفاد  
من قوله ( إن الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق ابليس ) - على فرض صحته -  
يتعلق بقضية قد ثار الجدل حولها - وما زال ؛ وللوصول الى اليقين فيها تكونت  
حولها مذاهب وفرق ، وهي قضية القضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ،  
وما ينسب الى الله ، وما ينسب الى العبد . من حيث العقيدة ، وهي قضية قد  
أثيرت - حسبما جاء في هذا الأثر - وقت الرسول عليه الصلاة والسلام - وكان  
رأي أبي بكر الصديق - ض - هو ان الشر من كسب الانسان ، وأن الخير من  
الله ، وهذا ما تأوله من قوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك  
من سيئة فمن نفسك » وكان رأي عمر - ض - يخالف رأي أبي بكر وهو ان  
الحسنات والسيئات جميعا من الله ، وبقضائه وقدره وان الانسان لا كسب له  
في ذلك وهذا ما تأوله من قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعلمون » وأخيرا اجابة  
الرسول الاكرم وتأوله الذي يؤيد ما ذهب اليه عمر ؛ وهي قضية أثيرت بعد عهد  
الرسول والخلفاء الراشدين بحدّة فتشعبت فيها الآراء وتاهت - وراء البت  
فيها - افكار المفكرين وعقول المتفلسفين - وحسب ما جاء في هذا الأثر تاه وحار  
في ادراكها حتى ملائكة الله في عالمهم العلوي ؛ ويبدو أن طلب ادراكها بواسطة  
العقل المجرد طلب للمستحيل ، وان مفتاح حلها بيد من يتدبر كلمة الوحي  
بخالص عقله ، وعميق تأمله وادراكه ، ويستعين - مع ذلك - بالهام البصيرة  
وقوة الايمان .

بعد فتح هذا القوس وما جاء فيه من استطراد أعود الى مدرسة الصحابة  
وكيف أخذوا مباشرة عن الرسول الاكرم كيفية البيان والتأويل . فقد تخرج عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال الفتوى والتأويل عدد كبير من صحابته  
وقد ضبط عددهم ابن قيم الجوزية في كتابه « اعلام الموقعين » ، مبينا وذاكرا  
اسماء الكثيرين منهم والمتوسطين والمقلّين فقال : والذين حفظت عنهم الفتوى  
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين  
رجل وامرأة . وكان المكثرون منهم شعبة : عمر بن الخطاب وعلي بن ابي  
طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة ام المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله  
بن عباس وعبد الله بن عمر

ثم ذكر عدد المتوسطين بأسمائهم وعدد المقلّين بأسمائهم<sup>(21)</sup> .

وبما ان عمر - ض - في مقدمة من تخرج من مدرسة الرسول عليه الصلاة  
والسلام في مجال الفتوى والتأويل اذكر بعضا مما وقع منه . أو بطلب منه ، أو



بحضوره وأقره من ذلك ما رُوي أن عمر بن الخطاب - تأوّلًا منه للآية الرابعة من سورة إبراهيم - عليه السلام - منع من أكل ذبائح نصارى العرب ؛ أخرج ابن أبي حاتم عن عمر - ض - قال : لا تأكلوا ذبيحة المجوس ولا ذبيحة نصارى العرب ؛ أترونها أهل كتاب ؟ فانهم ليسوا بأهل كتاب قال الله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيين لهم » وانما أرسل عيسى - عليه السلام - بلسان قومه ، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم - بلسان قومه عربي فلا لسان عيسى - عليه السلام - أخذوا ولا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم اتبعوا فلا تأكلوا ذبائحهم ، فانهم ليسوا بأهل كتاب .

وتأوّلًا للآية 25 من سورة الحج : « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد .... » نهى عمر أهل مكة أن يتخذوا لدورهم أبوابا لينزل الحاج حيث شاء . أخرج ابن أبي شيبة عن عطاء قال : كان عمر يمنع أهل مكة أن يجعلوا لها أبوابا حتى ينزل الحاج في عرصات الدور ؛... وأخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد عن عمر انه قال : يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث شاء .

وتأوّلًا منه لهذه الآية أيضا اعتبر حرم مكة لكافة المسلمين ، فلا تقطع أرضه لأحد ليملكها ويورثها ؛ أخرج ابن سعد عن عمر بن الخطاب أن رجلا قال له عند المروة : ( يا أمير المؤمنين اقطعني مكانا لي ولعقبتي فاعرض عنه عمر وقال : هو حرم الله سواء العاكف فيه والباد ) .

وتأوّلًا منه للآية 22 من سورة محمد عليه الصلاة والسلام ، منع بيع الأمة إذا أصبحت أمّ حرٍّ ، وأبان للمسلمين تحريم ذلك ؛ أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه عن بُرَيْدَةَ - ض - قال كنت جالسا عند عمر - ض - إذ سمع صائحا فقال : يا يَرْفَأُ ( اسم غلام له ) انظر ما هذا الصوت ؟ فنظر ثم جاء فقال : جارية من قريش تباع أمها فقال عمر : ادع لي المهاجرين والأنصار فلم يملك إلا ساعة حتى امتلأت الدار والحجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فهل تعلمون كان فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم القطيعة ؟ قالوا : لا ، قال : فانها أصبحت فيكم فاشية . ثم قرأ « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ » ثم قال : وأي قطيعة أفضع أن تباع أم امرئ فيكم وقد أوسع الله لكم ، قالوا : فاصنع ما بدا لك ، فكتب في الأفاق أن لا تباع أم حرٍّ فانها قطيعة رحم وإنه لا يحل .

وتأوّلًا للآية الخامسة من سورة ( القصص ) وهي قوله تعالى : « ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » كان عمر ينتدب بعضا من المسلمين لا لوجهتهم ولرؤيتهم الاجتماعي ، وانما من الذين استضعفوا في الأرض فيجعلهم ولّاءة له على بعض الجهات تحقيقا لما يستفاد من قوله تعالى : « ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض » .

ودعما لهذه الأمثلة الدالة على اعتماد مدرسة الصحابة على التأويل اذكر الامثلة التالية التي وقعت زمن عمر وبمشاركة منه .

روي ان عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مضعون على البحرين فقدم الجارود على عمر فقال : إن قدامة شرب فسكر فقال عمر : من يشهد على ما تقوله ؟ قال الجارود أبو هريرة يشهد على ما أقوله . فقال عمر : يا قدامة اني جالدك قال : والله لو شربت كما يقول ما كان لك ان تجدلني قال عمر ولم ؟ قال لأن الله يقول : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طَعِمُوا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا شَهِدُوا » (22) فأنا من الذين آمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا واحدًا والخندق والمشاهد .. فقال عمر : الا تردون عليه قوله ؟ فقال ابن عباس : إن هذه الآيات انزلت عذرا للماضين . وحجة على الباقيين لأن الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان » (23) قال عمر : صدقت .

وأيضاً روي ان الصحابة فرحوا حينما نزل قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم » (24) لظنهم انها مجرد اخبار وبشرى بكمال الدين ، ولكن عمر بكى وقال : ما بعد الكمال الا النقص مستشعرا من الآية ومتأولا لها بأنها نعي النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان مصيبا فيما ذهب اليه من تأويل وفهم اذ لم يعيش النبي الأكرم بعدها الا أحدا وثمانين يوما كما روي . - وهذا يدل على مدى يقظة عمر - ض - ومدى سرعته في الفهم والتأويل .

وكذلك من الأمثلة الدالة على اختلاف الصحابة في الفهم والتأويل ما رواه البخاري عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه وقال : لِمَ يُدْخِلُ هذا معنا وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : انه من أعلمكم ، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم . فما رأيت انه دعاني فيهم الا ليريهم فقال : ما تقولون في قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح » فقال بعضهم أمرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا فقال لي : أؤكدك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله له قال : « اذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة اهلك « فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » فقال عمر : لا اعلم منها الا ما تقول (25) وهذا من عمر يدل - من ناحية - على : كيف كان عمر في مجالسه يطلب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم اهل مشورته ابداء ما عندهم

(22) سورة المائدة آية 93 .

(23) سورة المائدة آية 90 .

(24) سورة المائدة آية 3 .

(25) تفسير ابن كثير ج 8 سورة اذا جاء نصر الله والفتح ص 522 - 530